

مشروعات أبحاث:

د. قيس عبدالدايم المأنصاري

أستاذ المراجحة باقصر المعين بمصر

قال صلى الله عليه وسلم: (يحرم من المرضاع ما يحرم من الولادة).

في إطار سياسة المجلة الخاصة بطرح مشروعات أبحاث حول موضوعات الإعجاز العلمي.. تلقينا هذا المشروع المقim من الأستاذ الدكتور / قيس عبد الدايم حول تحريم الزوج من الذين اشتركتوا في المرضاعة من ثدي واحدة وهو موضوع له أهميته نظرًا لانتشاره بين فئة غير قليلة من عامة الناس.. وإذا كان هذا التحريم قد تضاءلت له أحاديث كثيرة بروايات متعددة إلى أن هناك وجهاً علمياً لحكم ذلك التحريم يحاول المراسخون في العلم أن يميطوا اللثام عنه.. ويهذا ما سوف نقف عليه من خلال هذا الموضوع.

حرم الله تعالى الزوج بين الذين اشترکوا في المرضاع من ثدي امرأة واحدة، وحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد المرضعات المحرومة بخمس رضعات واعتبر الرضيعين إخوة والمرضعة لهما أما في كل شيء تقريباً ما عدا الإبرة !!

وهذا التحريم كان - وما زال والله أعلم - مجالاً مفتوحاً لكل من يريد أن يدللي بدلوه فيه من إعطاء المرأة أو وضع نظرية احتمالية تساعد - ولما تجزم - على تفسير هذا التحريم الإلهي وتحديد العدد من رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وهذا لا يعني مناقشة الأمر الإلهي والمجادلة فيه من ذاحية التطبيق أو المقصد منه.. والعيب بالله.. ولكنها محاولة متواضعة لتفسير أو إعطاء خلفية علمية للحكمة من وراء هذا الأمر الإلهي غير القابل للمجادلة أو المناقشة.

معنى البنوة:

وقد شغلني هذا الموضوع منذ فترة طويلة وقبل أن أقترب الماحتمال العلمي لذلك أريد أن أوجه النظر لبعض نقاط يجب أن تسرد.

أولاًً: إذا عرفنا ما هي الأخوة أو البنوة فنجد أنها من الناحية العلمية اشتراك أعضاء الأسرة في التركيب الجيني المناعي المتقارب مع وجود بعض الفروض البسيطة.

ثانياً: كان الزوج من الأخوة مسماً به زمن سيدنا آدم عليه السلام شريطة أن يتزوج الأخ المخالف له في توقيت الولادة أي اعتبر الأخرين الذكر والأنثى من نفس البطن والتوقيت أخوة لا يتزاوجون، وسمح بالتزاوج فقط بين الأخوة المتخالفين في البطن وتوقيت الولادة، وعليه تزوج قabil من نفس البطن وكان ذلك مسماً بقلة عدد الغرباء المتوفرون للتزاوج.

ثالثاً: كما يحمل لنا التراث الإسلامي مقولات لبعض الصحابة والتابعين (ونسبها البعض على ضعفها إلى النبي صلى الله عليه وسلم) تنص كلها بالزواج دائرة الأقارب وقد أيد العلم الحديث تلك المقولات على أساس تقارب الجينات الموراثية في الأقارب، وعليه يصبح تواجد الصفات الموراثية المتنحية المسببة لأمراض وراثية متراكماً في الأطفال وتحتفظ فيهم الصفات المسائدة التي تخفي أو تغطي على تأثير هذه المصفة المتنحية وهنا يظهر المرض الموراثي فيأطفال الأقارب.

رابعاً: رغم أن الطفل الجنين داخل رحم أمه يعتبر من الناحية العلمية كعضو مزروع داخلاً لأنه مختلف لأمه من وجهة التركيب الجيني فإنه من هذا لا تطرد الأم هذا الطفل. رغم وجود محاولات لطرد بعضها على هيئة القرء المستمر المتكرر في أوائل الحمل والمتسم بالأكلامبس في آخر الحمل - ويحدث بينهما ما يسمى في علم المناعة "باتأقلم مناعي".

خامساً: مع ظهور وإنشار زراعة الأعضاء وجد الآتي:

1- أحسن معطى للعضو هو: إما أحد الوالدين خاصة الأم، أو الأخوة المباشرين يتبعهم الأقارب مثل الحال والعم والجد حيث إن عوامل المرفض فيهم أقل مما يمكن ونجد نجاح نسبة كبيرة من اختبارات التجانس النسيجي بينهم بالمقارنة بالغرباء.

2- رغم وجود بعض التخالف في التجانس النسيجي بين المعطى والمتلقى للعضو فمن الممكن عمل نقل دم للمريض المتلقى من

المعطى قبل عملية المزرع ولهذه تقلل نسبة المرضع من المتلقى.

وقد فسر ذلك بوجود خلايا ليمفاوية من المجموعة (T) تقوم بثبيط عمل الخلايا الليمفاوية من نفس المجموعة T التي تقوم بعملية المطرد (T cell suppressor).

٣- حدد عدد مرات نقل الدم بثلاث مرات حيث وجد أن هذا العدد لا يكفي لتنشيط الخلايا الطاردة ولكن في نفس الوقت يقلل من نسبة طرد العضو بواسطة المتلقى رغم وجود تحالف في التجانس النسيجي بينهما أي مثلما يحدث من الأم والم طفل وما يسمى بالتأقلم المصناعي (Transplantation 1980. I.P Tarasaki .G Opelz.).

سادساً: التعريف المناعي للنفس وتحديد الهوية المناعية تعتمد على محو المذكرة المناعية للطفل بواسطة محو تجمعات مناعية بواسطة أجسام مضادة من النفس، وما يتبقى من هذه التجمعات المناعية لم يتم محوه يكون هو التكوين المناعي للنفس (1982 Wang et al. J. Immunology. 128:1382-85).

ومعروف أن لبن الأم يحتوي على الأجسام المضادة المطلوبة لاعطاء مناعة للطفل من الأمراض في الشهور الأولى من حياته حتى يصبح جسمه قادراً على تكوين هذه الأجسام المضادة الخاصة به.

الآن والآن فقط بعد هذا المسرد شبه المفصيلي لبعض النقاط العلمية استطيع أن أقدم هذا الاقتراح المافتراضي.

هل يقوم لبن المرضع بعمل محو بعض التجمعات المناعية (المذكورة في البند سادساً) من الطفل المرضع وعليه تغير من التكوين المناعي له ليقارب التكوين المناعي لأخته أو أخيه المرضع من نفس الأم والثدي ؟ (مثلاً ما يقدم نقل الدم للمربيض المتلقى للعضو المزروع "المذكورة في بند خامساً فقرة ٣").

صحيح أنه لم ولن يتم عمل تغيير في التركيب النسيجي المسئول عن التجانس النسيجي ولكن سيحدث تأقلم مناعي بينهما.

الخلاصة:

وطرق البحث المطلوب طرائقها للتوصيل إلى إقرار أو إثبات ذلك هو القيام بعد نقل نسيج عضو من حيوان تجريبي إلى آخر من نفس الفصيلة ويكون المتلقى هو رضيع من أم المعطى عدد رضعات أقل من خمسة في مجموعة وأكثر من مجموعة أخرى ونرى مدى تقبل الجسم للعضو المزروع والمدة التي يطردها !! مع عمل التحاليل السابقة لعملية المزرع كما تعمل في الإنسان (دراسة التجانس النسيجي في الكروموسومات مجروبة A, B, D- دراسة تجانس نسيجي خلوي مباشر من كرات الدم البيضاء والليمفاوية).